الإمام الذي نريد

الإمام شخصية محورية في المجتمع ، دوره أساسي في البناء ...أو في الهدم ، كم تمنيتُ ألا يقتصر تميّزه على اللباس (الذي هو عُرف ولا علاقة له بقرآن و لا بسنة) وإنما يكون متميزا بالعلم الغزير والسيرة الحسنة والقدرة على التأثير ، أنا هنا لا أطلب المستحيل فهذه هذه أشياء ممكنة جدا إذا خرج الإمام من قوقعة " رجل الدين " إلى رحابة الإنسان المؤمن بقضيته المتفتح على الدنيا ، وكم تعجبني الشروط التي وضعها السلطان سليمان القانوني لخطباء الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية ، وهي : حسن المظهر والهندام ، إتقان العربية والتركية والفارسية واللاتينية (اللغات الحية في ذلك الزمان) ، الإلمام بالعلوم العصرية ...شروط معقولة حتى يعيش هو وجمهوره الواقع بدل نقل الناس إلى الماضي أو إلى عالم افتراضي.

ويكاد يصيبني الاحباط حين أرقب رجال الدين المسيحي في العصر الحاضر وأرى الواحد منهم – شابا أو شيخا أو حتى امرأة – أنيقا متألقا ، ينبض بالحيوية والنشاط ، يمارس الرياضة ويركب الدراجة العادية والنارية ، عندما تراه تحبه وتحبّ ثقافته ودينه مهما كان دينا مختلّ العقيدة ليست له مرجعية واضحة ، فهو يذهب إلى الناس ولا ينتظر مجيئهم إليه ، يغشى منتدياتهم كأنه واحد منهم ، تعلوه ابتسامة لا تفارق ثغره ، يده حانية تتلمّس مواطن الحزن فتجلب لها السكينة ، لا يلعن العصاة بل يذكّرهم بعفو الله ، لا يتجنب مومسا ولا سكيرا ولا لصّا بل يحاول إنقاذهم مما هم فيه .

هذه هي المفارقة : هناك قسّ ينطلق من دين محرّف لكن لديه إنسانية يخدم بها توجّهه ويجلب له الأنصار حتى من المسلمين ، وهنا إمام ينطلق من الدين الحق لكن ينقصه حسن العرض كما ينقصه البُعد الانساني ، فيحقق الأول من النتائج ما لا يبلغه الثاني .. لا أقصد التعميم ، فهناك أئمة يشرفون الاسلام بفهمهم وتفانيهم وحسن أسلوبهم لكنهم أعز من بيض الأنوق وأندر من الكبريت الأحمر ، تصوروا أن قرية نائية منعزلة بإحدى الولايات بها مسجد واحد تدور خطبة الجمعة فيه بين مواضيع محدودة كل أسبوع هي : ضلال بعض المسلمين ، لعن المعتزلة ، وجوب اللحية والثوب القصير... هذا هو الاسلام عند ذلك الامام ، ونشتكي بعد هذا من التنصير وغيره من الدعوات الهدامة وتمددها في جسم الأمة !!!

أما من ناحية البُعد الانساني – وهو قاسم مشترك بين البشر – فما زلت أذكر بكل أسف ردّ فعل معظم المعلقين على أخبار الممثلة الأمريكية " أنجلينا جولي " في نجدة المسلمين وإطعامهم وإسعاف اللاجئين ، فجلّهم – وخاصة الأئمة – ركّز على أنها كافرة مصيرها النار حتما ، وقلّة فقط ذكرت جميلها علينا ودعت الله لها بالهداية ، وتساءلت هل عرّفناه بالإسلام حقا قبل الحكم عليها ؟

أظن أن دور الإمام اليوم يتجاوز المحاور القديمة – من غير إهمالها فضلا عن إنكارها – ليجعلنا نكثّر الأصدقاء بدل الأعداء وذلك بعلمه المتجدد وسلوكه القويم والأساليب والوسائل التي يجب أن يبدع فيها ويستفيد من كل جديد على الساحة العالمية ، وأول ما ينبغي أن يتخلص منه هو لغة الخشب وأن يكون داعية قبل أن يكون موظفا .

إن أحدنا إذا أراد قيادة سيارة وجب عليه حيازة رخصة فكيف بمن ندب نفسه لقيادة مجتمع كامل ؟ هذا شأن الإمام ، لا بدّ له من رخصة قيادة الحياة لأنه يوجّه الناس في حياتهم ، كيف ينبغي أن يتصرفوا ، ماذا يفعلون وماذا يتركون ، وحتى يكون سببا في الهداية لا في الضلال يجب أن تكون لديه مؤهلات القيادة وهي لا تقتصر على إلقاء خطبة متكررة أو نقل درس من كتاب أو ترديد موعظة حفظها الناس إنما هي مستوى رفيع من البضاعة الشرعية المتنوعة الراسخة وذهنٌ متقد قادر على الحوار والنقاش والتعلّم ، وشخصية متوازنة تتحمل نفوس رواد المسجد المختلفة وتحسن التعامل معها بانضباط ورفق ، وأذن تحسن الاستماع والإصغاء للشاكي والمتألم ، وبصرٌ ثاقب يلاحظ واقع الناس ومكامن القوة والضعف فيهم .

الإمام لا يحتكر الحق ولا يحتكر التحدث باسم الدين ، ينبغي حتما أن يتفتح على المذاهب والأقوال والآراء ، لا يجمد ، ليس صاحب خطاب فوقي بل رجل حوار ونقاش ، يتعلم كلما علم ، هو أولى الناس بالبشاشة والوجه الطلق والابتسامة واللحية الودية ومعرفة واقع الناس ، فهي كلها رسائل غير لفظية للطمأنة ... بهذا يتمكن من القيادة .